

## " الثبات على الحق "

ويمضي القرآن الكريم في الحث على الأخلاق الكريمة فيقول - سبحانه وتعالى - :

﴿ فَأَلْقَى السِّحْرَ سُجَّدًا قَالُوا أَمْثَارِيبَ هَرُونَ وَمُوسَى ﴿٧٠﴾ قَالَ أَمْنَمْتُ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا فَطَعْرَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ مَنْ خَلَفَ وَلَا ضَلَبْتُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ آيِنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَقْبَنُ ﴿٧١﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيْتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ ﴾ [سورة طه: ٧٠: ٧٢]. بعد أن ذكر الله - سبحانه وتعالى - " الموعد " يوم الزينة وذكر أنهم قالوا اتوا صفا ذكر هنا أنهم بعد أن أتوا خيروه بين أن يبدأ بالقاء ما معه ، أو أن يبدأوا هم ، فاختار الثانية ، وحين بدأوا فآلقوا حبالهم وعصيهم ، وهنا خشى " موسى " - عليه السلام - عاقبة أمره ، فأوحى إليه ربه ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [سورة الأعراف: ١١٧]. لا تحف إنك أنت الأعلى والقي ما في يمينك فسيكون لك الظفر ، والنصر عليهم ، وقد تحقق ما وعده الله به ، وكتب له النصر ، وآمن به سحرة فرعون ، فلجأ فرعون إلى العناد ، والاستكبار ثم توعد السحرة بأنه سيقطع أيديهم ، وأرجلهم من خلاف وسيصلبهم في جذوع النخل ، فقابلوا تهديده بالاحتقار ، والاستهزاء والتهكم والسخرية ، فقالوا إنما أنت مسلط علينا في هذه الحياة الدنيا ، وعذابك لا يعدوها ، وما عند الله من العذاب لا يضارعه ولا يساويه عذاب ، وما عنده من الثواب لا يقدر قدره ، ففي جناته التي تجرى من تحتها الأنهار ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر. وقد قال السحرة في آية أخرى : ﴿ فَأَلْقُوا جِبَاهَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا بَعْرَةَ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [سورة الشعراء: ٤٤]. وقال تعالى :

وهنا يقول : ﴿ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْرَبَهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴾ [سورة الأعراف: ١١٦]. ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جِبَاهُهُمْ وَعَصِيَّهُمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنهَا تَسْعَى ﴿٦٦﴾ ﴾ [سورة طه: ٦٦]. وذلك أنهم اودعوها في الزئبق ما كانت تتحرك بسببه وتضطرب وتميد بحيث يخيل للناظر أنها تسعى باختيارها ، وإنما كانت حيلة ، فألقى كل منهم عصا وحبالا حتى صار الوادي مملوء بالحيات يركب بعضها بعضا فخاف " موسى " - عليه السلام - على الناس أن يفتتنوا بسحرهم فأوحى الله إليه أن ألقى ما في يمينك " وهى " عصاه ، فإذا هى تلقف ما صنعوا وفعلاً وقع ما وعده به ربه فالتقفت ما صنعوا من السحر ، لأن سحرهم هذا يعد كبيراً ، وبهتاناً ، وافتراءً ﴿ ...وَلَا يَفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ [سورة طه: ٦٩]. وعند ذلك وقع السحرة سجداً لله : ﴿ وَأَلْقَى السِّحْرَ سِجْدِينَ

﴿١٣٠﴾ قَالُوا ءَأَمَّنَّا رَبَّ أَلَعَلِّمِينَ ﴿١٣١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٣٢﴾ [سورة الأعراف: ١٢٠: ١٢٢]. ولهذا قيل: كانوا في أول النهار سحرة وفي آخر النهار شهداء ببرة. يقول صاحب اللطائف: " ولما طلعت في أسرارهم شمسُ العرفان، وانبسطلت عليهم أنوار العناية أبصروا الحق سبحانه بأسرارهم، فنطقوا ببيان التصديق، وسجدوا بقلوبهم لمشهودهم، ولم يحتشموا مما توعدهم به من العقوبة، ورأوا ذلك من الله فاستعدبوا البلاء، وتحملوا الأواء، فكانوا في الغداة كُفَّاراً سَحَرَةً، وأمسواً أختياراً بَرَّةً. وفي هذه العبارة فتح لباب الأمل أمام العصاة نظراً لقصر المسافة بين الكفر والإيمان، فهي كما بين الغداة، والمساء. عَلمُوا أَنَّ البَلَاءَ فِي الدُّنْيَا يَنْقُضِي - وَإِنْ تَمَادَى، وَيَنْتَهِي وَإِنْ تَنَاهَى. أَهْمُ الْأَشْيَاءِ - عَلَى مَنْ عَرَفَهُ - مَغْفَرَتُهُ لِخَطَايَاهُ؛ فَهَذَا آدَمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لَمَّا اسْتَكْشَفَ مِنْ حَالِهِ، وَحَلَّ بِهِ مَا حَلَّ قَالَ: ﴿...رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي...﴾ [سورة القصص: ١٦]. وقال سبحانه وتعالى لنبينا - ﷺ - ﴿...وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنبِكَ...﴾ [سورة غافر: ٥٥].

وقال نبينا - ﷺ -: « إنه ليعان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة » (١) وَمَنْ عَلَيْهِ سَبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٤﴾﴾ [سورة الفتح: ٢]. وكان عدد السحرة سبعون ألفاً، وقيل كانوا أقل من ذلك. وقيل كانوا بضعة وثلاثين ألفاً، وقيل كان سحرة فرعون اثني عشر ألفاً. ويقول "ابن عباس" - رضى الله عنهما - : " كانت السحرة سبعين رجلاً أصبوحوا سحرة وأمسوا شهداء ". قال الأوزاعي: لما خرَّ السحرة سُجَّدًا رُفِعَتْ لَهُمُ الْجَنَّةُ حَتَّى نَظَرُوا إِلَيْهَا. وقيل: " رأوا منازلهم تبنى لهم وهم في سجودهم " .

فبعد أن رأى فرعون "إيمان السحرة، لجا إلى العناد والمكابرة والتهديد والوعيد . فقال: ﴿قَالَ ءَأَمَّنْتُمْ لَهُ، قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا قَطْعَ رَبِّ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَأَصْلَابِكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلِنَعْلَمَنَّ إِنَّا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧١﴾﴾ [سورة طه: ٧١] فهو كبيركم الذي تعلمتم منه السحر وتامرتم معه عليّ وعلى ريعيتي . كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُمْ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٣٣﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأَقْصِبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [سورة الأعراف: ١٢٣: ١٢٤]. يقول "ابن عباس" - رضى الله عنهما - : " إن فرعون هو أول من فعل ذلك يعنى التعذيب والتمثيل بهذه الطريقة. ثم نراه يقول لهم: " أنتم تقولون إنى وقومى على

ضلاله وأنتم وموسى على الهدى فسوف تعلمون من يكون له العذاب ويبقى فيه ومما لا ريب فيه أن العذاب له ولقومه ولكل من اتبعه في الضلال والغواية والعدا، والاستكبار بغير الحق، فقالوا له بايمان صادق، وعقيدة ثابتة، وإيمان لا يخالجه شك: " افعل ما شئت فإنك تستطيع أن تفعل ما شئت في هذه الحياة الدنيا، لكننا في الدار الآخرة وهى دار القرار، والسبب في ايماننا لتخلص من عبادتنا الواهمة وتخلصنا من الآثام وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى .

وهنا نرى فرعون يهددهم في آية أخرى فيقول لهم: ﴿ قَالَ أَمَسْتُمْ لَهُ قِيلَ أَنْ أَأَذِّنْ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَاسَوْفَ تَعْمَلُونَ لَأُطْعَنَ أَيَّدِيكُمْ وَارْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفِ وَلَا صَلَّيْتُمْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ [سورة الشعراء: ٤٩]. أى ما ينالكم منى، فقالوا مجيبين له: " لا ضيرو ولا ضرر علينا مما تفعله بنا، إننا نرجوا أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين في زماننا. ثم يأمر الله نبيه - ﷺ - " بالصبر" حيث إنه - عليه السلام - أدى واجبه، وبلغ رسالته، وأندر قومه، ودعا عشيرته، وذلك بالبراهين الساطعة، والحجج القوية، والدلائل الواضحة، فإن الذى يطلب شيئاً فوق ذلك فهو مكابر، وجاحد، ومعاند. يقول الشاعر:

قَدْ تَنَكَّرَ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ وَيُنْكَرُ الْفَمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمٍ

والله يقول لنبيه - عليه السلام - : " إذا علمت حالهم وطبع الله على قلوبهم فاصبر، إن وعد الله حق، ووعدته الحق نصره عليهم - ﷺ - ولا يستخفك الذين لا يؤمنون بالبعث فيحملونك على ترك الصبر فلا تترك الصبر، يقول تعالى :

﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ..... ﴾ [سورة النحل: ١٢٧]

ويعد الثبات على الحق خلق قرآنى، فواجب على المسلمين أن يتخلقوا بهذا الخلق العظيم ليسعدوا في الدنيا والآخرة والسعادة في الدنيا تكون بالطمأنينة، والاستقرار النفسى، وراحة البال حيث إن المسلم بثباته على الحق يكون قد أراح ضميره وأسعد نفسه، كما أنه يُسعد الآخرين .

وهناك كثير من الناس لا يثبتون على الحق إرضاءً لشخص، أو رئيس مصلحة، أو صاحب سلطة. كى ينال رضاه بسخط الله - سبحانه وتعالى - ويحتج بقوله: " هذا أمر وسط ". فيقول الحق - سبحانه وتعالى - :

﴿...فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ...﴾ [سورة يونس: ٣٢]

" فماذا بعد الحق إلا الضلال " فعلينا نحن المسلمين أن نثبت على الحق ، ولو علم

أن في ذلك حتف أنفه وهلاكه لأنه بذلك يرضى الله بسخط الناس ، كما فعل سحرة

فرعون، فقد أرضوا ربهم وخالقهم بسخط فرعون وجبروته . (١)

1 - لطائف الاشارات ج ٢ ، ص ٥٦٥ وما بعدها .

■ تفسير القرآن العظيم لأبن كثير ج ٣ ، ص ١٥٨ وما بعدها .

■ الفتوحات الالهية ج ٣ ، ص ٨٦ - ٨٧ وأيضا ص ٣٩١ وما بعدها وص ١١٧ .